تفريغ شرح الأصول الثلاثة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فهذا هو تفريغ الدرس الثاني لشرح متن ثلاثة الأصول، والذي قام بتفريغه بعض طلبة العلم الأفاضل –وفقهم الله لما يحبه ويرضاه –.

وهذا الدرس هو ضمن دروس (**سلسلة التأصيل العلمي**)، والتي يتم نقلها عبر **شبكة وإذاعة إمام دار الهجرة العلمية**، والتي سوف نأمل من الله تعالى أن يُيسِّر لـــمَن يُتابِعُها التَّدرُّج للوصول إلى مراحل متقدِّمة من مراحل العلوم الشرعية.

ومما ينبغي التنبيه عليه؛ أنَّه كما لا يخفى أنَّ الدروس المسموعة لا تكون في قوة التحقيق وذكر المسائل، كما يكون ذلك في التأليف والتصنيف، فإن الكلام كما يُقال: (وليد ساعته)، وقد حاولتُ أن أُراعي في هذا الشرح سهولة العبارة قدر المستطاع، وترك الخوض في المسائل التي لا تنفع طالب العلم في هذه المرحلة؛ وذلك لكي يتدرَّج الطالب شيئاً فشيئاً.

وقد قمتُ بمُراجعة هذا التفريغ مراجعةً سريعةً؛ لإصلاح الخطأ –وهو يسيرٌ جداً – وحذف ما تكرَّر من العبارات، وتعديل ما قد يُشكِل في القراءة دون السماع، وضبط بعض ألفاظه.

وختاماً؛ أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا التفريغ، كما أرجو أن ينفع بأصله المسموع، وأن يُجزِل الأجر والمثوبة لَمن قام بتفريغه، ونشره، وأن يجعل ذلك في موازين حسناته، وأن يرفع به درجته عنده.

كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن ينفع به؛ مَن قرأه، أو نشره، أو أهداه إلى غيره، وأن يجعله حُجَّةً لي يوم ألقاه، وأن يغفر لي ما زلَّ به اللسان.

وإنَّني أرغب إلى إخواني، ومشايخي، ومَن يقف على هذا التفريغ، إنْ وَجَدَ به خللاً أن يُصلِحه، وأن يلتمِس لي فيه العُذر، وأن يكتب لي به لأُصلِحه، والله المستعان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتـــــــــــــــــبه الفقير إلى عفو ربه

حامد بن خميس بن ربيع الجنيبي
غفر الله له ، ولوالديه، ومشايخه ، وأهل بيته

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد؛

فنسأل الله –سبحانه وتعالى- أن ييسّر وأن يوفّق سبحانه لما يحبّه ويرضاه، وأن يخلص أعمالنا وأقوالنا لوجهه الكريم، وأن لا يجعل لذلك حظًّا لأنفسنا إنّه جَوَادٌ كريمٌ.

فنقول –وبالله المستعان-: كنّا قد تكلَّمنا عن المقدّمة الأولى التّي ذكرها الشّيخ –عليه رحمة الله تعالى-، ونحن قد ذكرنا أنّ الشّيخ –عليه رحمة الله- قد تكلّم قبل الدّخول في الأصول الثّلاثة عن ثلاث مقدّماتٍ.

نبدأ إن شاء الله في التعليق على هذه الرسالة بحول الله –سبحانه وتعالى- وطبعا للذين معنا في الغرفة يجدون إن شاء الله المتن موجود عندهم على لوحة الغرفة، على متصفح الغرفة يجدوا فيه المتن إن شاء الله.

فنقول: تكلَّمنا في الدروس الماضية على البسملة، وذكرنا شيئاً من الفوائد التي تتعلق بالبسملة؛ وذكرنا أن البسملة هي لها مُتَعَلَّقٌ يُراد به –هذا المتعلق- الاستعانة والتبرك باسم الله –سبحانه وتعالى-.

وذكرنا أيضاً: أنَّ اسم (الله) معناه: المعبود محبة وتعظيماً.

وذكرنا أنَّ (**الرحمن**) من أسماء الله –سبحانه وتعالى- التي لا تُطلق على غيره. ومعناه: ذو الرحمة الواسعة.

و(**الرحيم**): من الأسماء التي يجوز إطلاقها على الله، ويجوز إطلاقها على غيره –عز وجل.

وقد وردت بعض الأسئلة حول جواز إطلاق (**الرحيم**)، يعني: كيف نوفِّق بين إفراد الله –سبحانه وتعالى- بما يليق به وبين جواز إطلاق بعض الأسماء على غيره –سبحانه وتعالى- ؟

فنقول –إجابة على هذا السؤال على عجل –: أنا لا أدري إن كنت أجبتُ على هذا السؤال على الشبكة أو لا ؟ لكن نُعيد هنا إن شاء الله- نقول: إنَّ الأسماء التي يجوز إطلاقها على غير الله –عزَّ وجل- وهي من أسماء الله –عز وجل- ، فإنَّ هذا الاشتراك اليسير لا ينافي

أن الله -عز وجل- له كمال تلك الصفات، فالله -عز وجل- له الكمال المطلق.

بينما العبد له ما يناسبه من تلك الصفة التي تليق بمقام العبد وبوضاعته في مقابل مقام الرب -جل جلاله-، وفي مقابل مكانة الله -عز وجل-، ولا مقارنة بين مكان الله -عز وجل- وبين مكان العبد.

والفرق بين صفات العباد وصفات الرب -عز وجل- كما هو الفرق بين الله -عز وجل- وبين عباده، وهذه ينبغي أن ينتبه لها طلاب العلم في ضبط هذه المسائل، وهي أن الفرق بين صفات الرب -جل جلاله- وبين صفات العباد هي كالفرق بين الرب -جل جلاله- وبين عباده -عز وجل-.

فلا بد أن يُعلم ذلك لكي لا يحصل شيء من الخلط بين صفات الرب -جل جلاله- وبين صفات العباد، فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- له من كل الصفات الكمال المطلق، بينما صفات العباد وإن تسمَّى العبد بالرحيم فقد يكون العبد رحيما كأن تكون الأم رحيمة بابنها، ولكن هذه الرحمة قد تزول في وقت، وقد تكون في وقت، بينما رب العزة -سبحانه وتعالى- له من هذه الصفة الكمال المطلق، وقد اتصف بها -سبحانه وتعالى- قبل خلق الخلق، وهو متصف بها بعد خلق الخلق، وهو متصف بها بعد فناء الخلق، وبعد بعث الخلق، فهذه الصفة ملازمة للرب -سبحانه وتعالى-.

ثم ذكر المؤلف -عليه رحمة الله تعالى- قال:" **اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل**"، وهذه هي المقدمة الأولى، تكلمنا عن معنى العلم، ومعنى الرحمة، ومعنى الوجوب.. وهذه المسائل الأربعة كما ذكرت هي مسائل تحوي دين الإسلام.

يقول المصنف -عليه رحمة الله تعالى-:

[المتن]

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَلَاثِ وَالعَمَلُ بِهِنَّ. الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخلَ النَّارَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ

كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ [1]

[الشرح]

في هذه المقدمة الثانية تكلَّم الشيخ –عليه رحمة الله تعالى– عن مقدمة مهمة يحتاج إليها طلاب العلم، ويحتاج إليها أهل الإسلام عامة، وهي أن دين الإسلام مبني على التوحيد من جهة، وأن هذا التوحيد –كما سيأتي في بقية المسائل الثانية والثالثة– وأن هذا التوحيد مقتض لإفراد الله –عز وجل– كما في المسألة الثانية، ومقتض لصحة عقيدة الولاء والبراء، كما سيأتي تفصيل ذلك.

قال: " **اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ** "، ونحن قد ذكرنا أن قوله : (**اعلم**) أن هذه كلمة يُراد بها لفت انتباه القارئ إلى ما سيُلقى عليه من العلم، لكي لا يذهل ذهنه عنه، وقد جاء ذلك في كتاب الله –عز وجل– في آيات كثيرة ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ [2] ، وغيرها من الآيات التي جاءت في قول الله –سبحانه وتعالى– (اعلموا)، فهذه الكلمة هي كلمة يراد بها لفت انتباه القارئ لما سيُلقى عليه من العلم لكي لا يذهل ذهنه عن هذا العلم، ثم قال:" **رَحِمَكَ اللهُ** "، وهو كما ذكرنا دعاء معناه –معنى هذا الدعاء– المغفرة لمن يستحق الرحمة.

قال: " **اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ** "، وإذا نظرنا هنا سنجد في المقدمة الأولى أن الشيخ –عليه رحمة الله تعالى– قال: "**اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل** "، وهنا في هذه المقدمة قال: " **اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَلَاث وَالعَمَلُ بِهِنَّ** ".

فقوله: "**أنه يجب على كل مسلم ومسلمة**" فهو يعنى بذلك كل مسلم ومسلمة، فكل ما انتسب إلى دين الإسلام سواء كان من الإنس أو من الجن فهو داخل في هذه المقدمة.

بينما المقدمة الأولى هي لكل الناس، فلذلك قال: " **اعلم أنه يجب علينا تعلم أربع**

[1] [المزمل: ١٥، ١٦]

[2] [الحديد: ٢٠]

مسائل"، فهي مقدمة لجميع الناس، وهذه مقدمة يجب أن يعلمها كل من دخل في دين الإسلام.

فإن قال قائل: هذه المسائل التي سوف تذكر أيضا يجب على من لم ينتسب إلى دين الإسلام أيضا أن يعلم هذه المسائل الثالث.

فنقول: إن ذكر الشيخ – عليه رحمة الله تعالى– هذا الوجوب على كل مسلم ومسلمة –في ما يظهر والله أعلم– أنه أراد بهذا خطاباً لمن انتسب إلى الإسلام ولكنه قد فرط في بعض جوانبه التي كان ينبغي عليه أن يلتزمها، فهذا العبد كان عليه أن يلتزم التوحيد، وعليه أن لا يشرك بالله –سبحانه وتعالى–، وأن يقوم في نفسه بعقيدة الولاء والبراء، فهذه الثلاث يجب القيام بها لكي لا يُناقض فعلُه دين الإسلام.

ثم قال:" **تَعلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ** "، "**اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَلَاثِ وَالعَمَلُ بِهِنَّ".**

فهذه المسائل الثلاث مما يجب على كل مسلم ومسلمة، ولا يُستثنى من ذلك مسلم على وجه الإطلاق، إلا ما ذكرناه ممن لا يدخل في التكليف، وهو المجنون، والصبي، وفاقد العقل، فهذا لا يدخل في هذه المقدمات الثلاث؛ المجنون، والصبي، لا يدخلون في هذه المقدمات الثلاث لارتفاع التَّكليف عنهم.

قال –رحمه الله تعالى–: "**الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ**".

هنا تنبيه مهم؛ وهو أن مما ينبغي معرفته من طريقة القرآن والسنة وقد أكثر رب العزة –تبارك وتعالى– ذكر ذلك في كتابه الكريم، وهو: الاحتجاج بتوحيد الربوبية لإقرار المشركين بتوحيد الألوهية.

أقول مرة أخرى: مما ينبغي أن يُعلم أن من طريقة القرآن أن الله –سبحانه وتعالى– يقرر المشركين بما هو متقرر عندهم من توحيد الربوبية، لأجل أن يوحدوا الله –سبحانه وتعالى– في ألوهيته.

نوضح ذلك: المشركون الذين أُرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: إن الله هو ربنا، ولكنهم كانوا مع ذلك يُشركون بالله –عز وجل– في صرف العبادات لغيره، ودليل ذلك من كتاب الله –عز وجل– هو قول الله –عز وجل–: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّـهُ ﴾[3].

وقال –سبحانه وتعالى–: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4]، هنا؛ الله –سبحانه وتعالى– يأمر الناس بعبادته وحده –عز وجل–: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5] الآن هذه كلها من إقرارهم بالربوبية لأجل توحيد الألوهية، ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّـهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[6] الآيات.

3 [لقمان: ٢٥]

4 [البقرة: ٢١]

5 [البقرة: ٢١، ٢٢]

6 [البقرة: ٢٢]

ومن تدبر في طريقة القرآن في تقرير المشركين لتوحيد الألوهية بما عندهم من توحيد الربوبية أن الله –سبحانه وتعالى– يذكِّر المشركين بأنكم أنتم مؤمنون بالربوبية، فإنَّ توحيد الربوبية يستلزم من العبد أن يُوَحِّدَ الله –عز وجل– في ألوهيَّتِه.

فلذلك ذكر هذه المسألة الأولى وقال: " **الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا**" فهو خالقنا –عز وجل–، ورازقنا –عز وجل– ونحن قد ذكرنا أن معنى توحيد الربوبية: هو إفراد الله –عز وجل– بأفعاله، أو بعبارة أخري: هو إفراد الله –عز وجل– بالخلق والملك والتدبير.

هنا قال: " **الأُولَى:أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ**"، فقوله –رحمه الله–: "**أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا**"، الخلق هو: الإيجاد من العدم.

ثم قال: "**وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلاً**"، وذلك أنَّ الله –عز وجل– خَلَقَ الخلق لغاية، وهذه الغاية هي التي ذكرها الله –عز وجل– في قوله: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[7] فكان لابد من تحقيق هذه الغاية، ولكن الناس قد اختلفوا في تحقيقهم لهذه الآية، فمنهم من آمن بالله –عز وجل–، ومنهم من صدَّ عن الله –عز وجل– وأشرك معه غيره عياذاً بالله –عز وجل–.

قال:" **أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا**"، والله –سبحانه وتعالى– قد أرسل الرسل، وكلُّهم قد أرسلهم لتقرير العباد بتوحيد الألوهية، كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾[8] وفي قوله –عز وجل–: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا**

---

[7] [الذاريات: ٥٦]

[8] [فاطر: ٢٤]

فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[9] قال:" فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ"، فمن أطاع هذا الرسول فهو داخل الجنة، ومن عصاه فهو داخل النار، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أنه قال:" كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: وَمَن يَأْبَى يَا رَسُوْل الْلّه؟ قَال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ الْنّار".

قال وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ هذا دليل على إرسال هذا الرسول ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾.

فالله –عز وجل– قد أرسل إلينا خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم شاهدا علينا، كما أرسل إلى فرعونَ: موسى عليه الصلاة والسلام، وفرعون قد عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى، فأخذه الله أخذاً وَبيلاً، وذلك في قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ فكذلك إذا عصى الإنسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستحِقُّ مِن الحال ما استحقه من عصى موسى عليه الصلاة والسلام.

فلذلك نقول: إن قوله –عز وجل– ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾[10] فهذا يستلزم من العبد أن يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم بما سوف نذكره إن شاء الله في الأصول الثلاثة التي ستأتي؛ أن يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم،

[9] [النحل: ٣٦]

[10] [المزمل:١٥]

وأن لا يعصيه، وستأتي إن شاء الله الأربعة أمور التي ينبغي على العبد أن تكون عنده في حاله مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وهنا توضيح قبل الدخول في هذه المسألة الثانية وهو يتعلق بالمسألة الأولى. ذلك أن المصنف –عليه رحمة الله– قال: " **أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا**"، فذكر المصنف –رحمه الله تعالى– خلْقَ اللهِ –عز وجل– للخلق، ورَزْقَهُ لهم، وذكر أيضا إرسال النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ما يتعلق بالرب، وذكر ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله –سبحانه وتعالى– حين لم يَخْلُقْنَا هملا ولا عبثا، فإنَّ الله –عز وجل– قد أَرسل هذا الرسول لأجل أن يبين للناس أنكم لم تخلقوا عبثا، فأَرسل الرسول لأجل أن يقرِّرَ الناسَ أنهم لم يخلقوا عبثا.

المسألة الثانية، قال:

[المتن]

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

[الشرح]

فمن تحقق بأن الله –عز وجل– خلقه ورزقه ولم يتركه هملا، الهَمَلُ: هو الشيء الـــمُهْمَل المتروك.

"**أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً**"، فمَنْ تيقَّن بأن الله –عز وجل– خلقه، ورزقه، ولم يتركه هملاً، وأرسل إليه الرسول لأجل أن يقرِّرَه بتوحيد الألوهية بما عنده من توحيد الربوبية، فإنه ينبغي على من كان عنده توحيد الربوبية أن يكون عنده توحيد الألوهية، وهي المسألة الثانية.

قال: " **أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبيٌّ مُرْسَلٌ**." والملك: قيل أنه بمعنى : الرسول. وهو مأخوذٌ مِنَ الأَلُوكَة وهو : الإرسال.

والملائكة هم خلق من خلق الله –عز وجل– متفاوتون في الخلق كما قال الله –سبحانه وتعالى– في الآية الكريمة: ﴿ **أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [11]، فالملائكة أولو أجنِحَةٍ، يتفاوتون في هذه الأجنحة مثنى وثلاث ورباع، وقد جاء في وصف جبريل عليه الصلاة والسلام كما في البخاري ومسلم وغيرهما أنه كان له سِتُّمائة جناح، وسيأتي إن شاء الله شيء من الكلام على الملائكة.

قال: "**وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**"، وهنا مما ينبغي ذِكرُه : (الفرق بين النبي والرسول)، فقد قال – رحمه الله– "**نبي مرسل**".

وأنا أدقّق على الألفاظ لأنه ينبغي على طالب العلم أن يفهم ما يقول، وأن يفهم ما يُقال له، فلا يكفي طالب العلم أن يمر على هذه المتون دون أن يفهم ما حوته هذه المتون.

فقال –رحمه الله تعالى–: " **أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**"، الفرق بين النبي والرسول – ضابط ذلك–:

النبي: هو الذي أُرسل إلى قوم موافقين.

والرسول: هو الذي أُرسل إلى قوم مخالفين.

[11] [فاطر: ١]

فالرسول يأتي أولا لدعوة الناس إلى توحيد الله -عز وجل-، فكان هذا الرسول بعد موته يكون هنالك أنبياء، فهؤلاء الأنبياء يحكمون الناس بما جاء في شريعة الرسول الذي سبقهم، وأما الرسول فإنه يأتي بشريعة جديدة فهو يأتي إلى قوم مخالفين.

أُوَضِّحُ ذلك أكثر: الرسول يُبعث إلى قوم ليسوا على التوحيد لدعوتهم إلى التوحيد، فالرسول يأتي بشيء لا يأتي به النبي، وذلك أن النبي مُكَمِّل لما كان عليه الرسول، فالنبي يأتي مكملا لشريعة الرسول.

وهنالك بعض أهل العلم قالوا: إن الرسول هو الذي بُعث بشرع وأُمر بتبليغه، وأن النبي هو الذي بُعث بشرع و لم يؤمر بتبليغه.

وهذا التفريق ليس بصحيح، لأنه لا يُتصَوَّرُ أن يرسل الله -سبحانه وتعالى- رسولاً بالتوحيد، ويرى من حوله من الناس على الشرك بالله -عز وجل-، ولا يأمرهم بعبادة الله -عز وجل-، هذا غير مُتصور.

وهذا إن كان في الصالحين من أمة الإسلام أو من الأمم السابقة فهو مذموم، فكيف يكون هذا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟!

وقد دل القرآن على أن الأنبياء مأمورون بتبليغ شرع الله -عز وجل- وذلك في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّـهِ ﴾ [١٢]، يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾ فهنا النبي يحكم بالتوراة

[12] [المائدة: ٤٤]

وهو قد بُعثَ بشرع رسول قبله وأُمر بتبليغ هذا الشرع، ومن المعلوم أن الأنبياء كانوا كُثُراً في بني إسرائيل، ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم قد قال: " **إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ تَسُوسُهُمْ أَنْبِيَاءَهُمْ أَلَا إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي** " الحديث، فكان صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

ولكن مما ينبغي التنبيه عليه؛ أنَّ هنالك اجتماع وافتراق بين لفظ النبي والرسول، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول.

فالرسول هو: (رسولٌ وهو نبي). وقد اختلف أهل العلم في النبي هل هو مأخوذ من النبأ وهو الإخبار؟ أم من النَّبْوَة وهي الارتفاع؟ وكلاهما مُتَحَقِّقٌ في النبي، فهو له مكانة عالية، وهو مأمور بتبليغ شرع الله –سبحانه وتعالى– الذي معه.

قال المصنف –رحمه الله–:

[المتن]

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[١٣].

[الشرح]

فهذه المساجد في شريعة الإسلام، وقد كانت عند الأمم السابقين بعض الصوامع، فالمساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً.

13 [الجـــن:١٨]

وقد اختلف أهل العلم هنا في تفسير قوله تعالى (**المساجد**) هل المراد بها مواضع الصلاة؟ أو أنَّ المراد بالمساجد ما يَسجُد عليه العبد من الأعضاء؟ وعلى كل حال؛ فإنه سواء كان هذا هو المعنى، أو أنَّ المعنى هو المعنى الآخر فإن الله قد قال: ﴿ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾.

ونقول هنا أن دعاء الله –عز وجل– على قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

- دعاء العبادة: هو أن يتعبد الإنسان لله –عزّ وجلّ– بشرعه.
- دعاء المسألة: هو أن يسأل الإنسان ربّه –عزّ وجلّ– بلسانه أن يُعطيَه شيئاً ممّا يريده من أمور الدنيا أو أمور الآخرة.

فالأول دعاء العبادة يكون بالقلب، وباللسان، وبالجوارح.

ودعاء المسألة يكون باللسان، مع ما يقتضيه مما يقوم في القلب من الرجاء في استجابة الدعاء من الله –عز وجل–، فهذا هو التقسيم لدعاء العبادة.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–:

[المتن]

"الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ."

[الشرح]

المسألة الثالثة: تسمى مسألة الولاء والبراء، أو عقيدة الولاء والبراء، وهي من عقائد الإسلام التي يجب على المؤمن اعتقادها. ذلك أن توحيد الله –عز وجل–، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ينافي محبة أعداء الله –عز وجل– وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم. ولندقق العبارة أكثر نقول: أن محبة من حادَّ الله ورسوله تنافي توحيد الله –عز وجل–، وتنافي طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف بالمؤمن أن يوحد الله –عز وجل–، وأن يطيع الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في نفس الوقت يوالي ويحب من حادَّ الله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله، ولو كان هذا الذي حادَّ الله ورسوله أقرب قريب، وسوف يأتي الكلام إن شاء الله عن هذه العبارة "**ولو كان أقرب قريب**".

"**مَنْ أطاع الرسول ووَحَّدَ الله**": هذا فيه بيان لـــمَنْ ادَّعى طاعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وادَّعى أنه من أهل التوحيد، ففيه بيان لمن انتسب إلى هذا الحال: أنْ يكون مُوَحِّدًا لله –عز وجل–، ومُتَّبِعاً للنبي صلى الله عليه وسلم. فمن وحد الله وأطاع الرسول فإنه لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب.

والموالاة بيانها: أنَّ أصلَ الولاء هو المحبة، وكُلُّ أحكام الولاء دائرة على المحبة، ولا يوجد ولاء إلا وتوجد محبة.

وهنا مَزْلَقٌ خطيرٌ قد انزلق معه كثير ممن انتسب إلى الإسلام من التكفيريين، انتبه يا طالب العلم إلى هذا المزلق الخطير:

الموالاة تنقسم إلى قسمين: موالاة كفرية هذه الأولى، وموالاة فسقية، من: (الفسوق).

- أما الموالاة الكفرية فهي: أن يـــُحِبَّ الإنسان أهل الكفر والشرك لأجل دينهم، فهذه تسمّى موالاة كفريّة.

- والموالاة الثانية هي: الموالاة الفسقيّة، يكون صاحبها فاسقاً ولا يكون كافراً.

الأولى: كفرية؛ أي: مُكَفِّرَةٌ لصاحبها، تُخرِجُه من دين الإسلام.

و الموالاة الفسقية هي: محبة الكفار ومَنْ شابههم من أهل الفسق، والمجون، والعصيان، والفجور، محبةً لأجل الدنيا.

الأولى محبة لأجل الدين، الثانية محبة لأجل الدنيا، يجب التفريق بين هاتين المحبتين لئلا يتزلق الإنسان في هذا المزلق الخطير فيطلق شيئاً من الأحكام الجائرة على أهل الإسلام.

فنقول إن هذا الذي أحب الكفار لأجل الدنيا، أو أحب الفسّاق لأجل الدنيا، أو أحب العصاة لأجل الدنيا، هذا نقول إنه فاسق أو نقول إنه عاص لله –عزّ وجل– ولرسوله صلى الله عليه وسلم. أما الأوّل فهو خارج عن ملة الإسلام، وهذه عقيدة يجب اعتقادها، وفي المقابل يجب على طالب العلم أن لا يخطأ فيها فيطلق الأحكام على من لا يستحق تلك الأحكام.

وأنا هنا أنبه على تنبيه مهم؛ أيها الإخوة والأخوات –وفقنا الله سبحانه وتعالى وإياكم– ينبغي للإنسان حتى لو ظهر له فيما يظهر له أن فلانا من الناس يحب الرجل الفلاني من الكفار أو المشركين يحبه وظهر له أن هذه المحبة محبة لأجل الدين، فيجب أن لا يستعجل في إطلاق الحكم، فنحن هنا نقرر القواعد العامة من قواعد أهل السنة والجماعة التي هم عليها، ونفرق بين القواعد العامة والحكم على الأعيان، فعندنا أحكام عامة وهي: أن الولاء الكفري يكون بهذه الصورة، فليس كل من وقع في الولاء الكفري أنه يُطلق عليه أنه كافر، وهي قاعدة عند أهل السنة: وهي أنه ليس كل من وقع في الكفر أنه كافر.

وقد تكلم على هذه المسألة بتفصيل وإسهاب شيخ الإسلام ابن تيمية –عليه رحمة الله تعالى– في كتابه مجموع الفتاوى في مواضع كثيرة. تكلم على هذه المسألة ويقررها تقريرا

عاما، وتكلم عليها فيما أذكر في (إقتضاء الصراط المستقيم)، وتكلم عنها فيما أذكر أيضا في رده على البكري، فتكلم –عليه رحمة الله تعالى– عن هذه القاعدة العامة.

فيجب أن لا نخلط بين الحكم العام، وبين الحكم على الأفراد، وعلى الأعيان، على الأشخاص، يجب أن نفرق بين هذا وهذا لئلا يتزلق الإنسان في هذا المزلق الخطير، وهو أن يكفِّر من ليس من أهل الكفر، ولذلك ينبغي على طالب العلم الذي لم يتأهل لمثل هذه الأحكام أن يجعل هذه الأحكام للعلماء، فيرجع إلى العلماء ويسألهم عن ذلك، يجب عليه أن يرجع ولا يستعجل ويطلق الأحكام من عند نفسه.

طيِّب؛ يُقابل الولاء ماذا ؟ يقابله: البراء، فالولاء قِوَامُه كما ذكرنا على المحبة، يقابل ذلك البراء، فالبراء يقابل الولاء والولاء قوامه على المحبة، فإذا يكون البراء: قِوَامُه على البغض، فيجب على كل من أطاع الرسول ووحد الله أن يبغض ما يبغضه الله –عز وجل– سواء كان هذا المبغَض شخصا أو فعلا، هذا ضابط مهم: المبغَض قد يكون شخصا، وقد يكون فعلا، فقد أُبغِضُ شخصا وقد أبغض فعلا، فينبغي التنبه لهذه المسألة.

والذي أود بيانه فيما يتعلق بالولاء والبراء: أن المحبة الـــجِبِلِّـــيَّة والفطرية ليست داخلةً معنا في هذا الباب، فيجب عدم الخلط بين هذه المسائل، مثال ذلك :قد يكون الإنسان مسلما وأبوه كافر، أو أمه كافرة، أو قد تكون زوجته كافرة من تَزَوَّج بنصرانية مثلاً، فهؤلاء قد يـــُحِبُّون آبائهم، وأمهاتهم، وزوجاتهم، محبة فطرية.

قد يكفر الابن، نوح عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ **فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ** ﴾[١٤] فقامت به رحمة الأبوة على ابنه لما أنزل الله الماء من السماء، وأمر الأرض

[14] [هود:٤٥]

أن تُخرج الطوفان، فقامت روح الأبوة في نوح عليه الصلاة والسلام، فدعا ربه أن ابنه من أهله والله –سبحانه وتعالى– قد وعده بأن يُنجيَ أهله فقال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، فهذا لا يخالف ولا يعارض ذلك.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام كما في سورة مريم؛ من تأمل خطاب إبراهيم لأبيه يجد فيه البر التام: يا أبتِ، يا أبتِ، يا أبتِ، يكرر عليه يا أبتِ، يا أبتِ وهذا في غاية الأدب في تعامل إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أبيه. فإن المحبة الجبلية ولو كانت لكافر –انتبه يا طالب العلم– المحبة الجبلية ولو كانت لكافر فإنها غير داخلة في هذا الباب، قلنا كما لو أحب الإنسان أباه، أو أمه، أو ابنه، أو زوجته، أو قريبه، وهو مقيم على الكفر فهو يعادي فعله، ويبغض هذا الإنسان لأجل ما فيه من الكفر ومخالفة الحق، ولكن في نفس الوقت هذه المحبة الجبلية التي قامت به فلا يجب أن يترتب عليها شيء من الأحكام، لا يتعلق بها مدح هذا الإنسان، ولا يتعلق بها ذم هذا الإنسان، فلا يُذم من أحب قريباً له ممن قام به الكفر، لا يمدح ولا يذم، ويجب عليه أن يَبرَّ بوالديه إن كان والداه كافران: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[15] قلنا كما حصل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أبيه، وكما حصل مع النبي صلى الله عليه وسلم حين استأذن ربَّه في زيارة قبر أمه، وكان قد استأذن ربه –عز وجل– أن يدعو لأمه.

وكما في حُبِّ الرجل لقريبه؛ كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم أيضاً، كان يحب عمه أبا طالب، وقد جاءه في الرمق الأخير يدعوه إلى الإسلام، وقد قال: " لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا

15 [لقمان: ١٥]

لَمْ أُنْهَى عَنْك " ثم نزل قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾[16].

نختم بمسألة وهي: مسألة قبول الهدايا من الكفار، والتهادي بين المسلمين والكفار، فنقول لا بأس بالتهادي بين المسلمين والكفار، ولكن لا يكون هذا التهادي ولا قبول الهدايا في أعيادهم، إذا جاءت الهدية من الكافر لأجل عيدهم فلا نقبل هذه الهدية، ولا نعطيهم الهدية في أعيادهم، فإن هذه الأعياد –عياذاً بالله– من الولاء، ولا يجوز أن يكون من المسلم.

طبعاً؛ مسألة: (أنه لا يحكم على كل من وقع في الكفر بأنه كافر). في ذلك قصة حاطب بن أبي بَلْتَعَة –رضي الله عنه– القصة المشهورة حين أرسل إلى قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعد لحربهم، فقال عمر –رضي الله عنه–: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **دَعْهُ يَا عُمَر فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** ".

وبقي معنا الحديث عن الآية ولعل معناها واضح؛ ﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ** ﴾[17] لا تجد: يعني أنك لو فـتَّشْتَ وبحثت في مَنْ يُؤمن بالله –عز وجل– حق الإيمان، وباليوم الآخر حق الإيمان، فإنك لا تجد مَنْ يُوادَّ من حادَّ الله ورسوله ولو كان هذا الذي يعني حادَّ الله ورسوله من آباءه، أو أبنائه، أو إخوانه، أو عشيرته، فلذلك قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ **أُولَـٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّـهُ**

---

[16] [القصص: ٥٦]

[17] [المجادلة:٢٢]

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَـٰئِكَ حِزْبُ اللَّـهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّـهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٨] والله - سبحانه وتعالى -أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[18] [المجادلة:٢٢]